

مرور الأيام... عبرة للأنام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله، وصحبه، ومن والاه،،، وبعد،
فقد جعل الله تعالى في تعاقب الأيام والليالي والشهور والأعوام عبرة وآية، وثنى بذكر ذلك في القرآن
آية بعد آية، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل
عمران: ١٩٠]، ويقول عز وجل: ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].
هذا كله منه عز وجل استناناً على عباده، وتذكيراً لهم بآياته الدالة على وحدانيته في ربوبيته، وألوهيته،
وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

أيها المسلمون: لقد انتهى عام ٢٠١٢ م... بماذا انتهى؟ حضر فلان وغاب فلان، مرض فلان، ودفن فلان،
وهكذا دواليك، أحوال تغيرت، وأشخاص تبدلت، فسبحان الله ما أحكم تدبيره، يعز من يشاء ويذل من يشاء،
يعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أمور تترى، تزيد العاقل عظة
وعبرة، وتنبه الجاهل من سبات الغفلة، ومن لم يعتبر بما يجري حوله، فقد غبن نفسه.

إننا معاشر الأحبة نتذكر ونعتبر في تسخير سبانه الليل والنهار لعباده، ليحقق لهم خلافة الأرض، ولتقوم
مصلحتهم ومعايشهم فيعلنوا بذلك توحيده وحده، والإسلام له وحده، بإصلاح الدنيا بالإيمان به وحده، فامتن
سبانه بذلك في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

كلُّ هذا في الحقيقة يدل ويؤكد على أصول مهمة وقواعد إيمانية عقدية راسخة وجلييلة، وأهمها أمران:
الأول: الاعتراف واليقين بوحدانيتها سبحانه في أفعاله المستلزمة والمحققة لوحدانيته سبحانه في ألوهيته،
وعبوديته وحده، دونما شريك له، فإذا تحقق هذا وحقق؛ فالثاني: جعل الإنسان - آدم وذريته - في الأرض
خلفاء ليعمر دنياهم بالتوحيد، فيكون في انقضاء الزمان بلياليه وأيامه وأعوامه، انقضاء أعمارهم وتحولهم إلى
دار الجزاء والثواب، فإنما المرء أيام، إذا انقضى يوم انقضى بعضه.

إن مرور الأيام للمؤمن عبرة، وأي عبرة على انقضاء مهلته، ودنو أجله بتصرم العمر ونهايته، وهو للمؤمن -
لا الغافل - نذيرٌ وتنبية، ليفتح عقله وقلبه، فيحاسب نفسه على ما مضى من تفريط أو غفلة أو إعراض،
ويحملها في مستقبل أيامه على فعل الجميل، وبأطرها على الحق أطراً، قال النبي ﷺ: "وكل الناس يغدو،
فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها" رواه البخاري.

أيها الأحبة: إن في انقضاء الأعوام عبرة وذكرى على حقايرة الدنيا وترك الأمل، وعلى جلاله الآخرة وعظمتها،
وعلى الزهد والورع وملازمة التقى، والعاقل من اتعظ بأمره، واجتهد في يومه، واستعد لغده.